تعني البطولة (L'héroisme) – في أبسط مفاهيمها – مجموعة من الصفات الجسدية والمعنوية تجتمع في فرد ما ،تميزه عن بني قومه ،وتخوله قيادتهم بعد أن ينال الإعجاب والتبجيل ، وفي أحيان كثيرة :التقديس .

وهو مفهوم قديم ،حاضر منذ عهود الإنسان الأولى ، يعكس قضية وجودية هامة ،هي التفاوت بين البشر في وعيهم بالحياة ومعناها، والأثر الذي يتركونه عليها؛إذ تعيش العامة حياة عادية تملؤها اليوميات المملة والروتينيات المكرورة ، لا يطرحون الأسئلة ولا تسكنهم الهواجس المقلقة ،يستسلمون للحياة وينقادون لتيارها ، بينما تتوق فئة قليلة منهم إلى اجتراح الأمجاد نتيجة حس عال لديهم بالقيادة والمسؤولية ،وقناعتهم بواجب ثقيل ملقى على كواهلهم تجاه بني عشائرهم أو أوطانهم أو الجنس البشري ككل ؛فيتكلمون حين يسكت الجميع ،ويقدمون حين ينكص الآخرون ،لا يترددون في اتخاذ المواقف ولا يلزمون الحياد، تتدفق الحياة من خلالهم ولا يجرفهم تيارها. .

ويقدم "فيثاغورس"(495ق.م) (Pythagore)،تصورا أليغوريا لهذا التفاوت بتشبيهه الحياة بالألعاب الأولمبية ، مقسما الناس فيها إلى أقسام ثلاثة : الباحثون عن المعرفة ،الباحثون عن الشرف ،والباحثون عن الفوز ، وساوى الفئة الأولى بالمتفرجين ،والثانية بالرياضيين المتنافسين ،والثالثة بالباعة المتجولين : فيما يكتفي الباحثون عن المعرفة بالمشاهدة – بهدف المتعة أو إشباع الفضول– ويستغل الباعة المتجولون موسم الألعاب الأولمبية لممارسة تجارة مربحة – و يحققون فائدة مادية – يصنع الرياضيون المتنافسون المآثر بتقديم العروض الرياضية التي تحقق المتعة لهؤلاء و الربح لأولئك ، فهم يمثلون فئة إيجابية فاعلة بينما يمثل الآخرون فئة سلبية تكتفي بالمتابعة والاستمتاع والتصفيق،أو تجني أرباحا مادية ، وكلاهما متع زائلة لا تنفع إلا أصحابها،أما الفعل – أو الأثر – فخالد ونافع للآخرين.

من هذا المنطلق بدأ مفهوم البطولة بالتشكل ليدل على أولئك الباحثين عن الشرف ،

اقترن البطل في الأذهان بالأسوة والمثل الأعلى لتحليه بالشجاعة ونبل الأعمال و الإسهام في تغيير مصير جماعة ما ، وكثيرا ما ينظر إليه كملهم أو مخلص

2- البطولة في الأدب:

لا شك أن وجود الفكرة يسبق – دائما – الانتباه لها والوعي بها وتمثلها في الخطابات المختلفة فلسفية كانت أو تاريخية أو أدبية ، ولا تشذ فكرة البطولة عن هذه القاعدة ، فقد قدم المخيال الإنساني تصورات كثيرة لها .

إن تصور الإنسان لمفهوم البطولة وصفات البطل ،وتغير النموذج البطولي من عصر لآخر ، يعكس درجة نضجه الفكري ونقلاته الكبرى ،ومعايير العظمة والإدهاش عنده ، وإدراكه قدراته وفاعليته في صنع عالمه وفهمه ومدى تحكمه فيه والتصالح معه و طبيعة العلاقة بينهما ودرجة حدتها ، وهذا يعني أن أي تغير يطرأ على هذا النموذج ،ماهو – في الحقيقة – إلا تغير طال الذهنية الإنسانية تبعا لمواضعات كل مرحلة وظروفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ويعتبر الأدب البطولي إحدى أهم تمثلات البطولة في الفكر الإنساني ، وهو تجسيد فني جمالي لها ، أي إنه يمثل الدرجة الثانية من الوعي بها كظاهرة ، وراح هذا التجسيد يتطور ويختلف من عصر لآخر، بدأ فيه البطل متوهجا ثم خبت جذوته تدريجيا ،من البطل كمعبود – في عهود الإنسانية الأولى – إلى اللابطل – في العهود البورجوازية المتأخرة.

نقصد بالأدب البطولي " مجموعة القصص البطولي التي تصف مآثر الأبطال والشخصيات العظيمة التي تنتمي إلى العصر البطولي "، وتعد الأسطورة المهد الأول لهذا النوع الأدبي ؛ وقد كان البطل الأسطوري أولى التمثلات الإنسانية لفكرة البطولة على اعتبار أنها – أي الأسطورة – أول نشاط فكري بذله الإنسان وذلك خلال مراحله الفطرية المبكرة وهي المرحلة المقصودة بالعصر البطولي.

أحيط البطل في تلك العصور بهالة من القداسة والتكريم والعلو عمن سواه ، سواء فيما يتعلق بالزمن الذي عاش فيه ، وهو زمن سحيق لم يدركه البشر العاديون، أو ما يتعلق بأصله ونشأته – حيث كان يعتقد أنه من سلالة الآلهة لا من سلالة البشر التي ينحدرون هم منها، ،أو ما يتعلق بصفاته ؛حيث أسبغ عليه من فضائل السجايا والطباع .

وتتضافر العناصر السابقة لتصنع من البطل الأسطوري ذلك الكائن الخارق الاستثنائي الذي بلغت درجة تقديسه حد العبادة ، لذا تسمى تلك الحقبة بعصر "عبادة الأبطال" ،ويمثل البطل كمعبود أقدم نماذج الأبطال على الإطلاق ، وهي صورة أولى مبكرة من صور إجلال العظماء التي هي عقيدة راسخة في العقول والقلوب لا تختلف كثيرا عن بعض الصور الحديثة من الإعجاب بالأبطال في المجالات المختلفة. .

ويمكننا أن نذهب مذاهب شتى في تفسير هذه الظاهرة ،أهمها التفسير النفسي الذي يرى أنها تعكس توقا وميلا قديما لدى الإنسان إلى الركون لمأوى آمن بعد القلق الوجودي الذي عاشه نتيجة جهله بالعالم والطبيعة وذاته ، فلم يكن أمامه إلا أن يفترض وجود مثل هؤلاء الأبطال الذين يحس بالأمان والطمأنينة كلما تذكر أنهم موجودون يرقبونه ويحرسونه.

تمت هذه العملية النفسية تمت على مرحلتين حدثتا تلقائيا في ذهن الإنسان ونفسه وهما :الإسقاط والاستبدال ، ونتج عن هاتين العمليتين الأدب البطولي ،أسقط الإنسان ضعفه وخوفه البشري على الشخصيات التي يقهرها البطل في النص القصصي ...،واستبدل ذلك الضعف والخوف بنقيضيهما : القوة والشجاعة وأضفاهما على شخصية البطل ،وهو النموذج الذي طالما حلم الإنسان – مبدع القصة البطولية –أن يكونه ،وفي هذا اقتربت العملية الإبداعية كثيرا من الحلم، وعلى هذا الأساس تم ابتداع الأشكال البطولية الأدبية والتي كانت الملحمة أقدمها وأهمها وأكثرها تمثلا لمفهوم البطولة ،وقد كان البطل الملحمي أول ورثة البطل الأسطوري ،والفرق بينهما أن الأول كان نتيجة خيال بدئي بسيط ،أما الثاني فهو نتيجة خيال فني أكثر تعقيدا ،لا يخلو من أبعاد سياسية واجتماعية ألقت بظلالها على الملحمة.

البطل في الملاحم : .

ازدهرت الملاحم في زمن الأنظمة الشمولية ،حيث يرتبط مصير الفرد بمصير الجماعة ،ويعيش المجتمع لحمة متينة ، تنصهر فيها الأجزاء الصغيرة ضمن الكل ، تتصالح فيها الذات مع الموضوع ، ولا يعي الفرد ذاته إلا بما يربطها بوعي الجماعة

، وعلى هذا الأساس ارتسمت معالم البطل الملحمي :مطموس الملامح الذاتية ، متوافق مع العالم الخارجي ،كان البطل نموذج الإنسان الذي لا فضل له في نفسه ،ولكن كل فضله هو اتصاله الأوثق بهذه القوى الكونية التي تحدد حياته وموته من قبل ، ولم يستطع الإنسان قط أن يخرج عن هذا النطاق الذي فرض عليه وجوده نفسه ،ككائن يعيش في جماعة ويخضع لظروف مادية خارجة عن إرادته، وبالتالي لا يتحرك إلا ضمن خط سير جماعي لا يسعه الخروج عنه أو التمرد عليه لصالحه الشخصي ، إن المحرك الأساسي في ملحمتي هوميروس يقوم على الصراع في المجتمع من حيث هو مجموعة فاعلة تتحرك بصورة موحدة ضد عدو خارجي.

وهو ما يفسر عدم تردد "أخيل" في العودة إلى الحرب – متناسيا أحقاده الشخصية تجاه "أغاممنون "– بعد أن ألحقت الهزائم النكراء بجيش اليونان ، محاربا جنبا إلى جنب معه ،وهو الذي انسحب من الحرب احتجاجا عليه. .

وهنا تتبدى سمة أخرى من سمات البطل الملحمي ،تعتبر مصدر مجده ،ومبعث بطولته ، وسر تميزه عن بني قومه وهي كونه بطلا قوميا ، لا يتردد في التضحية براحته وسلامته وتجاوز صراعاته وحسمها في سبيل وطنه ،ويزيده نبله تميزا وارتفاعا عن العامة –على الصعيد الاجتماعي هذه المرة – فالنبل صفة لصيقة بأبطال الملاحم ،وهي صفة فرضتها طبيعة الملحمة – كنوع أدبي – وظروفها وسياقاتها ؛فالشاعر الملحمي شاعر بلاط ، لقد أنشد "هوميروس" ملحمتيه في بلاط ملوك اليونان من أحفاد "أخيليوس" وبقية أبطال حرب "طروادة" "... ،لذا فليس بين أبطاله من هم من أصل وضيع ، فحتى راعي خنازير "أوديسيوس" ثبت في النهاية أنه نبيل بالمولد.

هذا دون أن ننسى قدراته الجسدية ، والخوارق التي لا تتأتى لسواه ، وبهذا يحقق البطل الملحمي "بطولته" .

البطل في التراجيديا :

يمثل ظهور التراجيديا وازدهارها (5 ق م) لحظة فنية وتاريخية لاحقة للحظة الملحمة ، وهي لحظة لها مقتضياتها الفنية الجديدة ، وتمثل قمة النضج والاستقرار الفني لدى الإغريق ،وتوجت مرحلة انتقالية (ق 7 و6 ق م) شهدت تغيرات متسارعة على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ؛إذ انتقلت اليونان من نظام ديكتاتوري منغلق إلى نظام دولة المدينة الذي امتاز بشيء من الانفتاح أتاح للطبقات المسحوقة التعبير عن تطلعاتها وامتد هذا لينعكس على الفن والأدب ، فبدأ الناس يتساءلون عن المسلمات القديمة بما في ذلك عدالة الآلهة أنفسهم .وما إذا كانت الحياة تستحق أن نعيشها أم لا" ،وهنا لم يعد الشعر الملحمي الشكل الفني الأنسب للتعبير عن المرحلة الجديدة ،وبالتالي ظهر الشعر الغنائي كخير معبر عن الروح الذاتية التي راحت تزدهر وتزدهر ،وأتيح للأصوات التي كانت مكتومة أن تعبر عن ذواتها وقضاياها الفردية اليومية البسيطة البعيدة عن أروقة قصور الملوك والنبلاء التي صورتها الملاحم ،وهو ما ترسخ وتعمق في القرن الخامس قبل الميلاد وترجم فنيا بازدهار التراجيديا التي استوت نوعا شعريا ناضجا له سماته المميزة على المستوى التقني – أو الفني – وأهم هذه السمات :البطل التراجيدي.

لما بدأ اليوناني يعي فرديته ويطالب بها – في ظل الظروف الجديدة – تناقض هذا مع سطوة الآلهة وسلطانها عليه ، فتغير مفهوم البطولة واختفى البطل الذي ينصهر في بوتقة القبيلة ،وهنا نشأ الصراع الذي تقوم عليه التراجيديا عادة ، وتشكل نموذج بطولي جديد يستمد مجده من ذاته في ظل غياب المرجع.

يقوم مفهوم البطولة الجديد – إذا – على التمرد ،والاستقلالية والكفر بكل مرجعية خارجية في اتخاذ المواقف والأحكام المختلفة ، وهنا قد تتعارض وتتصارع مواقف البطل الجديد مع مواقف

الجماعة أو القوى الكونية أو الآلهة. .

تشكل للبطل وعي جديد مستقل يمكنه من مسائلة القيم السائدة ،ناهيك عن التمرد عليها وتغييرها وقد تفاوتت الأعمال التراجيدية اليونانية في تمثل صورة البطل الجديد ، ودرجة تمرده ونهاية هذا التمرد وفاعليته وعواقبه لكنها تشترك في غياب ذلك الوفاق والتناغم الذي تتميز به الملحمة . ويعد "إسخيلوس 456 ق م" (Eschyle)خالق الصراع في التراجيديا اليونانية ،و قد جعله بين الإنسان والآلهة رغم أنه لا يتردد في حسمه لصالح الفئة الثانية ،في أحيان كثيرة ، أي إن البطل عنده يكتفي بالمحاولة ،لأن مساعيه في التحرر يجهضها جبروت الآلهة ،أما "سوفوكليس 406 ق م" (Sophocle) فقد عمق هذا الصراع خاصة بعد إضافة الممثل الثالث الذي يعد – في الحقيقة – صوتا ورأيا وموقفا ثالثا ، وهذا يوسع الاختلاف ، لكنه لا يحسم هذا الصراع لصالح طرف بعينه ويبقيه مفتوحا ، وكان التمرد صارخا لدى "يوريبيدس 406 ق م" (Euripide)، خاصة في مسرحية "هرقل مجنونا" وفيها سخرية لاذعة من المعتقدات الأسطورية البالية ومن شخصيات الآلهة التي تنزلق إلى مزالق البشر الفانين ، ويمثل "هرقل" – في هذه المسرحية – نموذجا مثاليا للبطل التراجيدي الجديد المتمرد .

كما لم تحرص التراجيديا على صفة الكمال عند البطل ، بل – على العكس من ذلك – صورت مواطن ضعفه وبشريته وجعلتها سبب مأساته ، لأنه لم يعد تحت حماية إله يرقبه ويبارك خطواته ،وبالمقابل احتفظ البطل التراجيدي بصفة النبل

استمر الوضع كذلك حتى مأساة عصر النهضة ، لكن الجديد الطاريء هو أن الوفاق مع العالم الخارجي عاد إلى البطل ، إذ جسد الأدب الكلاسيكي الأوروبي – الفرنسي خاصة – إبان القرن السابع عشر روح عصره سواء على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي ؛فلم يتردد في تزكية الإقطاع وتمجيد الطبقة الأرستقراطية التي ينتمي إليها البطل ، لذلك كانت الذات (شخصية البطل) متصالحة مع الموضوع (المجتمع والسياسة والاقتصاد) متماهية فيها ، حاملة لمبادئها متخذة منها نموذجا للحقيقة التي تنشدها.

وإذا كانت الكلاسيكية تصدر – في فلسفتها – عن رؤية اجتماعية يتصالح فيها الفرد مع مجتمعه ،فإن الرومنسية تصدر عن روح مغرقة في الذاتية ،لذا فقد قدمت نموذجا بطوليا مختلفا.

البطل الرومنسي :

تمثل الرومنسية التجسيد الفني لعصر الفردية الجديد الذي دخلته أوروبا بعد الثورة الفرنسية وصعود الطبقة الوسطى التي تؤمن بفرديتها ومنه كان التمرد آداة البطل الرومنسي التي يواجه بها مجتمعه كتعبير منه عن رفضه أية تقاليد أو مواضعات اجتماعية تقيده بخضوعه لها وتسلبه ذاتيته وتفرده المزهو به والذي يعد أكبر وأهم مكاسب الثورة،لكن مثاليته المفرطة وإغراقه في الخيال والطوبوية جعل وعيه قاصرا عن إدراك الواقع وفهمه ،عكسه البطل الواقعي.

البطل الواقعي:

رغم أنهما يمثلان الطبقة ذاتها وهي البورجوازية ،لكن الفرق بين الاثنين أن الرومنسية أخذت من البورجوازية اعتزازها بفرديتها وخروجها عن نسق الجماعة ،بينما أخذت منها الواقعية توجهها النفعي الوضعي (العقلاني) وكفرها بالماورائيات وقناعتها بالتعويل على ماهو مادي والركون إليه وإيمانها المطلق بالعلم حلا لكل مشكلات العصر.أنتجت الطبقة المتوسطة ،في عنايتها بالواقع ،الفلسفات الوضعية ،كما أنتجت تقدما علميا باهرا في شتى الميادين ،وكانت جريئة على الخصوص في اتخاذها الإنسان نفسه موضوعا لبحثها العلمي التجريبي ،لا جسم الإنسان وحده ،كما في الطب ،بل روحه أيضا ،كما في علم الاجتماع وعلم النفس ،وهكذا لم يعد الإنسان صورة الإله ،ولم يعد عقله هو المصدر الأخير للحقائق كلها ،بل أصبح قبل كل شيء نتاجا لمكان معين وزمان معين ،وسرعان ما تلقف الأدب الواقعي هذه الحقيقة ، غير أن هذه الروح اليقينية ما لبثت أن اضطربت وامتلأت بالتناقضات.

البطل في الرواية :

الرواية ملحمة البورجوازية ، تعد هذه العبارة المنطلق الأساسي لأي جهد يبغي التنظير للرواية ، وتربط بين زمن البورجوازية والشكل الروائي كخير تعبير فني عن هذا الزمن ، ولما كان التحول الاقتصادي إلى الرأسمالية أهم مميزات زمن البورجوازية الحديث،فإن العامل الاقتصادي يبدو ذا دلالة في التنظير للرواية وهو ما أكد عليه "غولدمان " (1913- 1970) (Lucien Goldman) قائلا :" يعتبر الشكل الروائي ،من حيث المباشرة والفورية ،أكثر الأشكال الأدبية جميعها ارتباطا بالبنيات الاقتصادية في معناها الدقيق ،أي بنيات التبادل والإنتاج للسوق " ، لم يسبق أن وسم نظام اقتصادي ما عصره بميسمه كما فعلت الرأسمالية بالعصر الحديث ، وبالتالي لم يرتبط نوع أدبي ما بنظام اقتصادي كارتباط الرواية بالرأسمالية ، وانعكس ذلك على عناصر الرواية الفنية ومن بينها البطل.

خرجت البورجوازية من القرن الثامن عشر مزهوة بانتصاراتها على الملكية الإقطاعية المستبدة ، صادحة بشعاراتها الداعية إلى تحرير الإنسان وإلغاء امتيازات النبلاء في شتى مجالات الحياة ، وذلك في إطار مبادئ الثورة الفرنسية : (الحرية – الأخوة – المساواة) ، لكن الوضع الذي آلت إليه أوروبا في القرن التاسع عشر- وما بعده – لم يختلف كثيرا عن عصر النهضة ، إذ لم يحدث أكثر من أن البورجوازية شيدت أرستقراطية جديدة توصف بأنها "أرستقراطية المال على أشلاء أرستقراطية النبلاء والأشراف " ،خاصة بعد أن تنكرت لكل من أشركتهم في النضال ضد الملكية كالعمال والمزارعين وأصحاب الحرف وأقصتهم من الحياة السياسية والاقتصادية وهي التي ثارت ضد التهميش في بداياتها، فلاحت بوادر أزمة عميقة ؛اقتصادية وسياسية ومن ثم اجتماعية نتيجة:

- تحول الاقتصاد من الرأسمالية الليبرالية ذات الطبيعة التنافسية إلى رأسمالية أمبريالية تقوم على الاحتكار وتعتمد بصفة أساسية على الإنتاج الكبير Mass production لتصبح بعد ذلك تسلطية إمبريالية تحطم حواجز الدولة الوطنية لتظفر بالسيطرة على العالم ،ومن ثم تطورت الفلسفة الاقتصادية للبورجوازية التجارية على يد البورجوازية الصناعية لتصبح احتكارية ،

و كان من نتائج هذه الأزمة السياسية الاقتصادية – على الصعيد الاجتماعي – أن فقد الفرد كل قيمة جوهرية أمام منطق الإنتاج السلعي الضخم والربح ،بعد أن توهج وانتعش إبان بدايات البورجوازية الأولى ، وفقد كل حظ له في المشاركة في الحياة الاقتصادية أمام التكتلات الاحتكارية الكبرى التي سيطرت على المشهد الاقتصادي ، وهذا يعني عودة إلى النظام الشمولي الذي يذوب فيه الفرد في الكل ، لكن إنسان الأزمنة الحديثة انصهر مكرها ضمن نظام اقتصادي سلبه إنسانيته ، و شحب علاقاته مع بني جنسه ، وتحول إلى مجرد رقم في المعادلة الاقتصادية المتوحشة ، وانتقلت أوروبا من مركزية الإنسان إلى مركزية السلعة ، وهي الحالة التي أطلق عليها "ماركس" (1818-1883) Karl Marx - في كتابه "رأس المال" (1867)- مصطلح: "صنمية السلع" أو "فيتيشية السلع" Fétichisme des marchandises، ورأى أنه من اهم ما يميز المجتمع البورجوازي الصناعي الحديث ،حيث ادى التوسع الصناعي الرهيب الى تضخم انتاج السلع وارتفاع نسب تبادلها ،فاختفى الانسان خلف هذا الركام الهائل من السلع والتبادلات ، واصبحت السلع تجسيدا ماديا لجهده وعمله. وبالتالي تغيرت طبيعة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي تنتظم الأفراد من علاقات شخصية مباشرة – في المجتمعات القديمة – إلى علاقات مباشرة بين الأشياء والسلع وعلاقات غير مباشرة بين الأفراد تلعب فيها السلعة دور الوسيط بينهم في المجتمع البورجوازي الحديث .

ومن هنا كان تأليه السلع ،أو صنميتها ، أي وقوع الأفراد تحت سيطرة الأشياء والسلع التي ينتجونها ،وهو وهم وقعوا فيه تماما كما وقع الوثنيون في وهم عبادة الآلهة التي صنعوها بأيديهم ومنحوها سلطة عليهم.

شملت ثقافة التسليع جهد الإنسان كذلك وطبعته بطابعها ، وافتقد كل قيمة له خارج هذا النظام ، وهذ ما ولد الشعور بالاغتراب واللانتماء، والضمور والتلاشي – أمام منطق المال وثقافة التسليع – لدى إنسان العصور الحديثة. .

كما تراجعت علاقاته الاجتماعية وفقدت طابعها الحميمي وتحددت هي الأخرى ضمن الإيطار المادي: ""يكلف الحذاء خمسة آلاف فرنك" تعبر هذه الجملة عن علاقة اجتماعبة وإنسانية ضمنيا

بين مربي المواشي والدباغ وعماله ومستخدميه وبائع الجملة وبائع الأحذية ومن ثم أصغر مستهلك ولكن لا يظهر شئ من ذلك ، لأن معظم هؤلاء الأشخاص لا يعرفون بعضهم بعضا بل يجهلون وجودهم المتبادل ،ويتعجبون جدا عندما يدركوون وجود رابط يجمعهم ، ويتم تعبير هذا كله بجملة واحدة هي أن "الحذاء يكلف خمسة آلاف فرنك" .

كانت هذه أعمق أزمة ألمت بالروح الفردانية البورجوازية ،وقد كان لها – دون شك – أثرها على الشكل الروائي ، والدور المفصلي في رسم ملامح البطل الجديد :الإشكالي ،الترجمة الأدبية للفرد الأوروبي الجديد ،التائه المأزوم ،الباحث عن القيم الإنسانية الأصيلة التي سلبها إياه الاقتصاد الرأسمالي المتوحش "إن الرواية هي تاريخ بحث منحط ،بحث عن قيم أصيلة في عالم منحط هو الآخر "[1] الانحطاط مزدوج إذا ، انحطاط العالم ممثلا في الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ،وانحطاط الفرد ،أو البطل الذي لم يعد نصف الإله ،أو الفارس النبيل ،أو رجل البلاط ،بل المجنون المتسول أو المجرم أو الموظف البسيط الذي تطحنه الحياة ، حتى إن الروئيين لم يحرصوا كثيرا على رسم معالم واضحة لأبطالهم ، وطال هذا التهميش أفعال البطل كذلك، وحجم صراعاته وعمقها وجدواها الصراع من الرواية ،لتحل محله الصراعات الشخصية والعلاقات الجنسية المحرمة أو المناقشة المجردة

ويمكن اختصار ما سبق بالقول إن الرواية الحديثة هي رواية اللابطل .

بعد عرضنا المختصر لمختلف أنماط البطولة وأشكالها وتمثلاتها في الأدب قديما وحديثا ، نخلص إلى جملة من النتائج حول هذا الموضوع :

1- سارت شخصية البطل – من الآداب القديمة إلى اليوم – وفق منحى تنازلي،

2- وجود علاقة جدلية بين طبيعة البناء الاجتماعي ومكانة الفرد في كل عصر ومميزات أبطال الأدب في هذا العصر ، وأي تغير يطرأ على هذا البناء والمكانة التي يتمتع بها الفرد ينعكس على صورة البطل ،

3- يمكن التمييز بين نوعين من الأبطال في الأدب : البطل المتوافق مع الكون والمجتمع ،وبالتالقي فهو بطل إيجابي واثق منتصر،كأبطال الملاحم وتراجيديا عصر النهضة ، والنوع الثاني هو البطل المتصارع مع عالمه غير المتصالح معه ، بطل مغترب مأزوم مهزوم ،ويندرج أبطال الأنواع الأدبية المختلفة قديما وحديثا – بالضرورة – ضمن أحد هذين النوعين.